الريـــف والمدينـــة فِـــــي استراتيجية الأمير عبد القادر

د. عميراوي احميده

جامعة الأمير عبد القادر

مُقَدِّمَة:

تشكل كل من المدينة والريف محور الاستراتيجية الحربية في الدولة الجزائريـــة عـــهد الأمير عبد القادر. ونحاول في هذه المداخلة أن نتحدث عن الريـــف والمدينـــة فِـــي هـــذه الاستراتيجية من خلال النقاط الثلاث الآتية:

1 — مدخل

2 – العلاقة بين المدينة والريف عهد الأمير عبد القادر

3 – بناء المدن

4 – استراتيجية ومعارك الأمير عبد القادر

1 — مدخل

ليس من السهولة بمكان للتحدث عن الريف والمدينة بدقة متناهية. وأن الحديث عنـــهما في رأيي يتطلب الاطلاع على أهم المصادر والتي أراها في أساسين.

الأول: في الكتابات بمختلف اللغات. خاصة وأن الجزائريين كانوا يكتبـــون فقـــط و لم يرسموا.

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

OyӨ ЖÆϹ ѺѼ OyӨ к Ă ЖӮ Ѽ Әґ OyЖҿ Ѽ OyӨ OyЖӮ к ҿ Ѻ

الثاني: فيما تركه الرسامون من لوحات جسدوا من خلالها ملامح للريف والمدينـــــة. وعلى هذا الأساس يتطلب الاستعانة بالإيكونوغرافيين والأثريين. لتتقارب و لم لا لتتكامـــــل القراءة التاريخية والفنية والأثرية.

وعلى هذا الأساس يكون ميدان البحث لتحديد معالم الريف والمدينة ينحصر في ما تركه الكتاب من مادة خبرية مدونة. وفي ما أبدعه الرسامون من إيحاءات من دون كتابة. وفيمـــا تمكن الأثريون من اكتشافه في باطن الأرض.

وفيما يتعلق بالجانب الفني لنا أن نبدي ملاحظتين.

الأولى: أن الحملة الفرنسية والتوسعات العسكرية في الجزائر صا... ش مـــن الرسامين سواء من المحترفين الموظفين الرسميين أم مر... كـــانوا جواسيس ومخبرين برتب مثل مهندس... ـــهم لجيش الاحتلال بتضا... ...يرها مثل ما هـــو الحا... ...وحات التي رسمها هؤلاء أثنـــــاء التوس... ...احف كاللوفر مثلا.

الـ... ...ـن في وجود صعوبة في توظيف وقراءة هذه اللوحات. لأنه مـــن خلال القر...ـه تكون الحيرة بين مطابقة هذه الصورة للواقع آنذاك وبين ذاتية الرسام وما يريد توصيله. وعلى هذا الأساس تكون الصورة ذات وجهين لحقيقتين؛ حقيقة الواقع وحقيقـــــة ذات الرسام. وهو ما يفسر في رأينا الإيحاء الدائم بعظمة فرنسا في أغلب اللوحات

ولنأخذ أمثلة:

2 – العلاقة بين المدينة والريف عهد الأمير عبد القادر

يشكل الريفُ أغلبَ مساحة الأرض وقاعدة الهرم الاجتماعي الجزائري. وتشكل القبيلـة والأسر الموسعة أساس سكانه. ويتميز عن المدينة بكونه قائم على ملكية الأرض الشاســــعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

المساهمة في اقتصاد البلاد. وعلى التضاريس المركبة من حيث توفر الرعي والأخشاب والحصانة. وعلى الطرق الصوفية التي تسيرُ حيوات الناس. هذه الطرق الصوفية ذات السلطة الروحية والدينية والمدنية والقضائية. لهذا كان لها من الولاء الشعبي ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم آنذاك[1]. ومن ثمَّ كان لها دور هام في إقرار التوازن الاجتماعي بين الريف والمدينة أكثر مما كان للنظام السياسي العثماني من دور في هذا التوازن، بموازاة مع ما كان يقوم به العامل الاقتصادي الحرفي والفلاحي والتجاري. ومع ما كانت تقوم به الأرض بإنتاجها من دور بارز في استمرار العلاقة بين الريف والمدينة. وكان لهذا البعد الممتد في عمق الأرض وللطرقية والريف موقعٌ في الاستراتيجية الحربية للأمير عبد القادر.

إذ كانت القبيلة بنوعيها الزراعية والرعوية، المستقرة والمتنقلة الأساسَ الثالثَ بعد الطرقية والأرض للحياة الاجتماعية في الريف. وبناء عليه تكون الطريقة والأرض والقبيلة الأسسَ السائدةَ والمحددة لمصير أغلب الجزائريين بما فيها زعماؤهم وعلى هذا الأساس يكون الأمير عبد القادر وغيره نتاجَ الريف والطرق الصوفية وليس نتاج المدينة بالأساس.

وكانت القبيلة لا تستكون من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد؛ برغم أن الجد كان المرجعية بالنسبة لأفراد القبيلة ــ عن حقيقة أو عن وهم ــ فالقبيلة أو العشيرة غالبا ما تكونت من تجمعات ذات مصلحة مشتركة امتصت ذاتية الفرد بولائه لتلك القبيلة أو العشيرة. ومن ثم ولمصلحته كان على الفرد أن يلتزم بضرورات أخلاقية ودينية واقتصادية مقابل حصوله على حماية وأمن ومورد رزق من الأرض. وتكون الأرض هنا محل النشاط والقاعدة الأساس لتلك القبيلة أو العشيرة. مثلما للسلالة من أساس، وإن كان اسم الجد يُرفع كشعار لتعزيز الأبوة الذكورية وللتخفيف من حدة النزاعات داخل القبيلة ولتعاضد

---

1 - كانت أهم الطرق الصوفية في الوسط والغرب والشرق الرحمانية التيجانية والقادرية. لمزيد من المعلومات يراجع:

Cour (A.). « Recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes ». in R.A. 1862 , p-p.291 -334

OуЭ ЖКÆЄ О Ѿ OуЭ к Ā ЖӮ Ѿ Э r OуЖe Ѿ OуЭ OуЖӮ к e Є

أفرادها[1]. ولكن الذي حدث مع الأمير كفرد هو أنه لم يذب بولائه لقبيلته بني هاشـــم ولم يتقوقع في الريف، بل حاول توسيع قوة القبيلة بتوحيد صفوفها للدفاع عن الجزائر. وبهـــذا الأمر يكون الأمير قد وضع مسار الحركة الوطنية الجزائرية في الطريق الصحيح. وقد أخـــذ منه هذا العمل وقتا كبيرا وجهدا مضنيا إلى درجة يمكن القياس بها ضعفَ الأمير وانهزامَـه في النهاية بفعل ميل كثير من هذه القبائل إلى الصف الفرنسي ضدّه. وتعتبر هذه العلاقة العدائية في بعض الصفوف الجزائرية من النقاط الفاعلة التي شغلت الأمير عبد القادر، إذ كان يحارب على جبهتين الأولى فرنسية في المدينة والريف والثانية جزائرية في الريف.

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من محاولة توحيد الصف القبيلـــ الجزائـــري تطويرَ الوضع الاجتماعي والاقتصادي للبلاد لقناعته في أن سمة ... لاجتماعية للريف الجزائري لا تتحدد في شكل مطلق بالة ... أنهـــا الإطار لهذه الحياة) إنما كانت ... ـية وبالأسواق ... ـل ما تقابلها من نمـط لـ... ـرض بالنسبة لسكان الريف فهي هويـــة بقدر ... ـعالب كانت النزاعات بين الأفراد داخل القبيلـــة أو الأسرة ... ـ بجعل الانتماء إلَى الجد الواحد. وغالبا ما تكون أسباب هذه النزاعـــات بين قبيلة وأخرى سواء من أجل الأرض وما عليها من أكل وماء أم من أجل التجارة. وكان من استراتيجيات الأمير التخفيف من حدّة هذه النزاعات والنعرات بـــين شـــيوخ القبـــائل بإلزامهم الولاء له وقَبول المبايعة. ولهذا كانت المواجهة الحربية بينه وبين قبائل رفضت الولاء

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – للمزيد ينظر: عدي، الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ترجمة جوزيف عبـــد الله، ط.1، دار الحداثة، بيروت 1983، ص. 18 وما بعدها.
2 – للمزيد من المعلومات ينظر: ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف، ش.و.ن.ت. الجزائـــر، 1979، ص 25.

لأسباب كثيرة يضيق المجال لذكرها. وإن كان ولا بدَّ أن تذكر في مقدمتها النعرات القبلية والاعتداد الذاتي لشيوخ القبائل والطرق.

والدارس لنفسية الأمير عبد القادر يتأكد له أنه أحبَّ الريف وفضله عن المدينة ونلمس هذا في شعره:

ياعاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر
لا تذممن بيوتا خف محملها وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت ما في البدو تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا بساط رمل به الحصباء كالدرر
أو جلت في روضة قد راق منظرها بكل لون جميل شيق عطر
تستنشقن نسيما طاب متنشقا يزيد في الروح لم يسر على قذر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه علوت في مرقب أوجلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسائطها سربا من الوحش يرعى أطيب الشجر
نباكر الصيد أحيانا فنبغته فالصيد منا مدى الأوقات في ذعر

****

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر
أنعامنا إن أتت عند العشي تخل أصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل أنجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر

****

شرابها من حليب ما يخالطه ماء، وليس حليب النوق كالبقر
أموال أعدائنا في كل آونة نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذم به إلا المروءة والإحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية والعيب والداء مقسوم على الحضر

OÿØ ЖÆÇ Ö Ū OÿØ ĸ Ă ЖŸ Ū Ø ŕ OÿЖ•e Ū OÿØ OÿЖŸ ĸ •e Ö ĸ

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحـــــن أطول خلق الله في العمـــــر

فيكون الأمير أحبّ الريف شعرا وحياة وأحب المدينة مدنية واستراتيجية.

لأن الريف في هو المكانُ الذاتُ لأغلبية الجزائريين بينما المدينة هي المكـــــان الموضـــوع بالنسبة لهم؛ وعلى هذا الأساس يكون المكان للجزائري هوية أكثر مما هو مكـــــان عيـــش مادي. وقد لا يستبعد أن يكون المكان/الريف عند الأمير هو المكان الجامع بـــين المحـــدود واللامحدود؛ بين المادي والروحي. أي أن المكان/الريف في شخص الأمير هو الفضاء الروحي والوجداني المتصل بعوالم أخرى تتجاوز الموقع الحيز كعالم التاريخ الممتد عبر كـــل الزمـــان وعالم التصوف المتسع إلى ما بعد أفق الإنسان. وهذا يفسر لنا أمرين في شخـ ير؛ مـن خلال الأمر الأول يتبين لنا أن الأمير تقليدي في شعره حين ـ ـاكي البادية والسيف والخيمة والمرأة وهي صور فـ ـن الأمر الثاني يتبين من خلاله الأ ي وهـو الذي طفح ـ رمدلولا.

إ ربط بين الريف والمدينة بوجود عمـــقٌ روحي ـيه. وبانتشار الأسواق الأسبوعية في القـــرى والمـــدن. وبتملك ـ حضرية لأراض بأحواز المدن الملاصقة للريف والمتداخلة فيه. وبوجـود أصول سكانية ريفية تتوطن في المدينة. وبوجود قبائل مخزنية تتوطن في الريف وموالية للنظام العثماني.

وكان الريف الجزائري يساهم في تمويل المدينة بما تحتاج من المواد الضرورية. وبناء علـى ما ذكره حمدان خوجة فإنه كانت بالريف قرى كثيرة؛ وكانت هذه القرى المنتشـــرة فـــي جبال فليسة وزواوة وبني عباس وبجاية والغرب الجزائري تشبه المدنَ حيث سطوحُها مغطـاة بالقرميد، وبمساجدها مآذن. وبهذه القرى مراكز لصناعة الأسلحة والذخيرة. وكان ســكان هذه الأرياف على دراية جيدة بطرق استخراج المعادن، خاصة الحديد والرصـــاص وملـــح

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البارود، بجانب إجادتهم لصناعة الأغطية والبرانس من الصوف. ولهم مهارة فائقة إلى درجة أنهم تمكنوا من صناعة النقود. وذهبت بهم المهارة إلى ضرب وتقليد النقود الأجنبية، بالإضافة إلى معرفتهم الجيدة لطرق متطورة، مثل كيفية حفظ الحبوب بباطن الأرض لمدة سنوات طويلة[1]. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه كان للريف نظام محكم (إداري واقتصادي واجتماعي) يتميز عما كان في المدينة. وقد استغل الأمير عبد القادر هذه المعارف بالريف ووظفها في استراتيجيته الحربية.

وكان للتجارة دور هام في حياة الجزائريين. وكان نشاطها يتم داخليا وخارجيا. فالنشاط الداخلي كان بين المدن والقرى بواسطة الأسواق الأسبوعية المنتشرة في أنحاء البلاد أولا. وثانيا بواسطة القوافل التي كانت من وإلى: الغرب - الشرق. ومن وإلى: الشمال -الجنوب؛ كطريق: تونس -قسنطينة -الجزائر -تلمسان. وطريق عين صالح -متليلي -ورقلة.

أما النشاط التجاري الخارجي كان يتم بين الجزائر وكل من تونس والمغرب وأوروبا حيث كانت المواد الأساسية المصدرة هي: الحبوب والزيوت والصوف والمرجان والشموع والجلود وريش النعام. وكانت المواد المستوردة هي: العطور والمصبرات والأسلحة والأقمشة ومواد البناء والسكر والقهوة والورق والحديد. وكان للتجار اليهود المتجولين دور فاعل في رواج المنتجات الأوروبية التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين وكان ذلك على حساب المنتجات الجزائرية[2]. بجانب رواج المنتجات الصناعية المغربية والصحراوية في الجزائر.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف تعامل الأمير عبد القادر مع هذه الشبكة التجارية الريفية-المدنية؟

1- Hamdan (B. O. K.), Le Miroir, traduit de l'Arabe par H.D.Goetschy, Paris 1833, chapitre 3.

2 - ابن اشنهو، عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر، ص 42.

OуЭ ЖКÆG O Ѿ OуЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э r OуЖ•e Ѿ OуЭ OуЖЎ к •e O к

من المؤكد أن الأمير عبد القادر تفطن إلى أهمية هذه الطرق واستغلها في حروبه. إذ ربط أهم مدنه بالساحل حيث جعل لتلمسان مرفأ رشكون. وللمليانة مرفأ شرشال. ولمعسكر مرفأ أرزيو[1]. مثلما ربط مدن التل بمدن الصحراء. وفتح باب الاتصال مع كل من المغرب وتونس؛ إذ أن الأمير عبد القادر بعث وفدا برئاسة محمد الصغير بن الحاج خليفته على بسكرة برفقة محمد كانون مزودا بهدية معتبرة آنذاك ولقي الوفد الجزائري من الترحاب وكرم الضيافة بما يليق بالمقام مراعاة لشخص الأمير بردّ باي تونس على هدية الأمير بهدية معتبرة دلالة على التجاوب والاستعداد للتعاون[2].

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من هذا العمل هو توحيد " العربي الإسلامي لمواجهة التحديات الأوروبية. ولعلّ هذا يفسر [illegible] المغرب وتونس، من دون الاتصال بال[illegible] أخرة أي منذ عام 1840.

و[illegible] الداخلية والخارجية، مثلما س[illegible] المدن، فمدينة العثمانية مثلا في الشرق الجزا[illegible] شهور.

3- [illegible]مدن

بعد إقرار البيعة. وتعيين رجال الدولة الأكفاء. وتأسيس جيش نظامي شرع الأمير عبد القادر في بناء المدن؛ على الرغم من أن المتعارَف عليه أنه ريفي المولد والنشأة والذاكرة. لكن الواقع فرض عليه أن يهتم بالمدينة وينفق شيئا كبيرا من الأموال والجهد والوقت. وهو ما نلمسه في ما بناه من مدن وحصون. ومن خطابه للفرنسيين حين قال: "لقد أقمت على

1 - ينظر ملحق رقم 1

2 ـ محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج. 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص. 139.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

حدود التل عددا من الحصون كلفني أموالا طائلة بينما كنت أواجه صعوبات جمة، وكان الهدف من إقامتها هو إشعار قبائل الصحراء المضطربة بالسلطة، والابتعاد عن هجماتكم، ولكن حطمتم هذه الحصون فيما بعد. لقد كنت مقتنعا أنه متى استأنفت الحرب فإنه علي أن أترك لكم كل المدن الواقعة في الخط الوسط للأطلس، ولكن يكون من المستحيل عليكم على الأقل لمدة طويلة أن تصلوا الصحراء"[1]. فموقع المدينة في مخيال الأمير كبير جدا ولكن قناعته كانت في تأسيس مدن داخلية من دون تأسيس مدن ساحلية لأسباب حصرها الأمير نفسه في أنه ليست له سفن. إذ قال في هذا الأمر: "ولو أنكم راضون حقيقة بهذه المدن (الساحلية) لتركتكم تعانون منها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن"[2].

وكان هدفه الكبير من بناء هذه المدن تأسيس دولة إسلامية جزائرية قوية بتوحيد الشعب الجزائري وحماية أرضه وعرضه، إذ قال في هذا الأمر: "إن الإرادة الإلهية اختارتني لتوحيد شعب يحكمه من ليس له من الإسلام سوى الاسم. إننا نحارب من أجل أرضنا وأطفالنا ونسائنا وكل ما يتعلق بديننا"[3]. ويكون الأمير عبد القادر قد ربط هذا العمل بركن الجهاد.

ويمكن حصر أهداف الأمير عبد القادر الأخرى من بناء المدن والحصون في الآتي:

- لأهميتها في التجارة وفي الصناعة وفي نشر المدنية.
- لتثبيت وتقوية الدولة الجزائرية الفتية
- لحماية المدن الكبيرة، مثل معسكر بمدن وحصون أخرى

1 - مزيان عبد المجيد، "عبقرية متكاملة" الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر 1985، ص.7. وللمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 1999، ص-ص. 246-248

2 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس 1974. ص. 139

3 - فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر. المرجع السابق. ص. 111. نقلا عن:
Roche (L.). Trente deux ans à travers l'Islame. t. 1. P-P. 160-161

– لمواجهة فرنسا بدولة وبسلطة وبجيش وبحاكم وبمدينة مقابل دولة وسلطة وجيش وحاكم ومدينة.

– لجمع السُّكّان والمشردين والأسرى في مراكز حضرية لتسهل إدارة شؤونهم

– لربط الصحراء بالساحل

– للسيطرة على القبائل الثائرة ضده

– لتخزين المواد الضرورية بها وتنشيط الصناعة الحربية والمدنية. وكذلك التجارة سواء بين الأسواق الداخلية أم الخارجية.

وبفضل هذه الاستراتيجية ببناء المدن والحصون تمكن الأمير من [illegible] 30000 محارب فقط بين نظامي وغير نظامي أمام قوة فرنسا [illegible]

مثلما سبق القول أنه بعد تأسيس [illegible] ن والحصون خلال فترة [illegible] حتى تشكلت بالتسا[illegible]

مقا[illegible] حر/معسكر. ومقاطعة مليانة/مليانة. ومقاطعة التيطري/[illegible] سطيف. ومقاطعة الزيبان/بسكرة. ومقاطعة الجبال/برج حمزة. ومقاطعة الصحراء جهة الغرب/الأغواط[1] من دون أن تكون لهذه المقاطعات حدود ثابتة[2]. وبداخل هذه المقاطعات كانت أهم المدن والتحصينات التي تم بناؤها هي:

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – لمزيد من التفصيل ينظر ملحق رقم 2. ويراجع:

* محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، دار اليقظة العربية، بيروت 1964، ص–ص. 306–311. وقد عين الأمير عبد القادر على هذه المقاطعة قدور بن عبد الباقي من الأغواط الذي استشهد في معركة سيدي يوسف. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1995، ص. 170.

* أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص–ص. 46–52

2 – من الصعوبة الحديث عن الحدود في هذا التاريخ إنما يمكن الحديث عن التخوم. للمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في أطروحة دكتوراه الدولة بعنوان: السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري (1830–1858)، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 1999 الفصل الأول.

* **معسكر**: وتعد من المدن العريقة التي وصفت في القرن السادس عشر على أنها من المدن الهامة[1] بسوقها وبمددها للأمراء. وبسهول غريس. مثلما كانت إشعاع علم بعلمائها أمثال: أحمد بن عبد القادر بن علي الراشدي الحسني الإغريسي، وأبو راس المعسكري وأحمد بن أحمد المعسكري[2]. والحاج مصطفى الغريسي[3].

وتمكن الأمير عبد القادر من تحصينها وجعل لها مرفأ هو أرزيو[4]. وتمكن الفرنسيون من احتلالها نهائيا أواخر شهر ماي عام 1841 بقوة 6 آلاف محارب.

وصف سانت آرنوا مدينة معسكر عام 1841 بقوله: يعتبر احتلال معسكر أكثر أهمية من احتلال تاقدامت. لأن معسكر تعد المعقل لقوة الأمير، فهي مدينته الناشئة. إنها مدينة جميلة زادها مسجدها جمالا، فهي مدينة تشبه شرشال وعنابة ومستغانم. بل هي أكثر إستراتيجية، تحيط بها بساتين جميلة ذات الأشجار المثمرة والخضر من كل نوع. وأنه في حالة ما إذا تمكنا من احتلال معسكر نهائيا فإنها ستعلن القبائل خضوعها لنا. ستكون قسنطينة الغرب. وأن كلا من معسكر ومستغانم ووهران تشكل رؤوس مثلث، بواسطتها يمكن أن نخضع كل البلاد[5]. وهذا ممكن جدا خاصة بعد أن تمكنا من تحطيم أهم المدن مثل بوغار وتاقدامت ومعسكر وهي المدن التي كانت تمثل قوة الأمير.

---

1 –Jean (L. l'Africain), Description de l'Afrique, tr. de l'Italien par Epaulard (A.), Maisonneuve. Paris 6. 1956, p. 338.

وعموما كانت منطقة معسكر هامة بجانب المناطق الأخرى أمثال ندرومة ومازونة. وقد حظيت بدراسات علمية منها التي قدمها

Djilali (S.), Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, S. N. E. D. Algérie 1978.

2 – يراجع: عادل نويهض، أعلام الجزائر. ص. 306.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985. ص. 520.

4 – ينظر ملحق رقم 1.

5 –وهي نفس الاستراتيجية التي طبقتها فرنسا في كل من الوسط والشرق الجزائريين. إذ احتلت الجزائر العاصمة ثم وهران وأخضعت التيطري. وفي الشرق استولت على كل من عنابة وقسنطينة وبجاية. ينظر ملحق رقم 3.

OуЭ ЖКÆG O Ū OуЭ к Ă ЖЎ Ū Э r OуЖ·e Ū OуЭ OуЖЎ к e O к

***تلمسان**: وهي مدينة رومانية. اهتم بها الأمير وجعلها مدينته الثانيـــة وربطـــها بمرفـــأ رشكون[1]. وبذل جهدا كبيرا لتكون مدينة مدافعة ضد الفرنسيين لكن الفرنسيين تمكنوا مـــن احتلالها.

* **تاقدامت** وهي مدينة تاريخية تبعد عن تيهرت العتيقة بـــ20 كلم[2]. وعـــن وهـــران جنوبا بـــ 90 كلم. شرع الأمير في ترميمها وتوسيعها عام 1836 واتخذها الأمير عاصمة لـــه إلى عام 1838. ووصفها سانت آرنو حين دخلها يوم 20 ماي 1841 بقوله: بها أكثر مـــن 600 منزلا مبنية بالحجر والخشب. يتوسطها منزل واسع مربع الشكل مخصص لإقامة الأمير عبـــد القادر. وبالمدينة دكاكين وسجن ومعمل لسك النقود ومصنع كبير ينتـ وأكثر من ورشة معدة لكل أنواع المصنوعات ومن غير هذا تعـ صورة.

وبعد احتلال المدينة سرنا في الشارع الك

وجاء في كتاب أد ر وزعوا بين منازلها [1] ـــها كمصنـــع الأســـلحة والمنشر ـ ارنو[5] أن العرب أشعلوا النار في المنـــازل المبنية با حجر. مثلما حطموا المصنع وفجروا الحصـــن. والراجـــح أن المدينة دمر بل وصول الفرنسيين إليها. لأنه لا يعقل أن يتركها الأمير عامرة وبها أكثر من

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - ينظر ملحق رقم 1.
2 - موقع تيهرت ليس هو موقع تيارت.
3 -يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة منتوري –قســـنطينة 1999، ص-ص. 68-71.
4 - أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج.2، ص. 402.
5 -ذكر هذا في تاريخ 25 ماي 1841: يراجع ما كتبناه بعنوان: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. ص. 68.

ورشة صناعية[1]. وقد أكّد هذا الأمير نفسه في مذكراته "فهدمناها وحرقناها قبل وصولـــه إليها"[2].

وكان هدف الأمير من بناء هذه المدينة واضحا فيما أورده تشرشل بالقول: "ثم استأنف (الأمير) حديثه معي قائلا بحيوية: إنني ما زلت آمل أن أعيد إلَى تاقدامت ماضيها المجيـــد. وأنني سوف أجمع القبائل فيها حيث سنكون في مأمن من هجومات الفرنسيين. وعندمـــا تكون كل قواتي قد اجتمعت فإنني سوف أنزل من هذه الصخرة الشماء، كما يترل النســـر من عشه، لكي أطهر مدن الجزائر وعنابة ووهران من المسيحيين. ولو أنكم راضون حقيقـــة هذه المدن لتركتكم تعاون فيها، لأن البحر ليس من شأني، وليس لي سفن، ولكنكم تريدون أيضا الاستيلاء على سهولنا ومدننا الداخلية. بل أنكم طمعتم حتى في خيلنا وخيامنا وابلنـــا ونسائنا. أنكم تركتم بلادكم الخاصة وأتيتم لتأخذوا الأرض التي وضع فيها محمـــد (عليـــه الصلاة والسلام) شعبه. ولكن سلطانكم ليس فارسا ولا مرابطـــا، وإن خيولكـــم ســـتعثر وتسقط عن جبالنا لأنها ليست ثابتة الأقدام كخيولنا، وإن جنودكم سيموتون مرضا، وحتى أولئك الذين سينجون من المرض سيسقطون برصاصنا"[3].

* **طليانة** وهي المدينة الثالثة التي جعلها الأمير مركز المقاطعة وجعل لها مدينة شرشال مرفـــأ لتطلّ به على البحر[4].

* **المدية** وجعلها مركز مقاطعة التيطري. ثم هجرها الأمير عبد القادر ودخلها الفرنســيون فوجدوها "مهجورة ونصف محروقة"[5].

---

1 - كانت في دولة الجزائر الأميرية أكثر من ورشة لصناعة المنسوجات وغيرها. ينظر A. M. G., H228

2 - مذكرات الأمير عبد القادر، ص.161

3 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص-ص. 138-139

4 - ينظر ملحق رقم 1

5 - هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص. 189

OуЭ ЖКÆG O Ω OуЭ к Ă ЖЎ Ω Э r OуЖ•e Ω OуЭ OуЖЎ к •e O к

* **بوغار** بناها الأمير كحصن لصناعة بعض المواد الحربية والتجارية الهامة لتكـــون قـــاعدة لحماية ظهر مدينة المدية.

* **سعيدة** وكانت مستودعا للحبوب وملجأ للمهاجرين من تلمسان ومعسكر.

* **سبدو** جنوب تلمسان بحوالي 35 كلم. وهي أحد مراكز الدعم من أعماق الجزائر للأمير.

* **تازة** أو طازة بناها الأمير عام 1838. ويتشكل مجموع سكانها من حوالي 50 عائلة. وكان يصنع بها البارود. وسقطت بيد الفرنسيين عام 1840

* **برج حمزة** وهي في جبال الوسط. وقد كانت دعما كبيرا [illegible] وبـــه ضد الذين رفضوا البيعة وضد الفرنسيين.

* **مازونة** وهي من المدن ال[illegible]

* **بسكرة** [illegible]فرنسيين عام 1844

* **الأ**[illegible]ح الأمير عبد القادر في غرب الصحراء.

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 - [illegible]مير عبد القادر

من الأ[illegible]ي قامت عليها استراتيجية الأمير عبد القادر تأسيسه لجيش نظامي. إذ فتـح باب التجنيد والانخراط فيه بحرية من دون إكراه. حيث وظف وسائل الدعاية لإقبال النـــاس على التزام الخدمة العسكرية في هذا القطاع بأن كلف من ينادي في الأسواق بالقول: "ليبلـغ الشاهد الغائب: أنه صدر أمر من ملانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد. وتنظيم العساكر مـــن كافة البلاد. فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظـــام فليســـارع إلى دار الإمارة (معسكر) لتقييد اسمه في الدفاتر الأميرية"[1]. وقد أقبل الناس طواعية برغبة صادقـة في الجهاد لتحرير البلاد وحبا في الأمير عبد القادر.

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص. 191

وأخضع هؤلاء المجندون إلى نظام عسكري وإلى تدريب صارم على أيدي جزائريين وأجانب. وحسب ما أورده يحي بوعزيز كان الأمير عام 1840 يتصرف في جيش قوامه 58960 ثمانية وخمسون ألف وتسمعائة وستون جنديا، منهم خمسة آلاف وستون جندي فقط من الفرق المنظمة[1]. وكانت هذه الفرق مقسمة إلى ثلاثة صفوف هي:

الخيالة

المشاة

والمدفعية[2]

وبالرغم من بناء هذه المدن بقي الأمير ومن معه يحاربون الفرنسيين خارج المدينة وبخاصة في المضايق والمسالك الريفية، من ذلك أن من بين حوالي 30 معركة خاضها كانت 5 منها فقط في المدن والباقي كان خارج المدن مثلما هو موضح في الآتي:

1. معركة خنق النطاح الأولى قرب مدينة وهران في ماي 1832.
2. معركة خنق النطاح الثانية.
3. معركة برج رأس العين غرب وهران.
4. معركة قرية فليتة المتمردة.
5. معركة وهران الأولى.
6. معركة واصل ناحية تلمسان.
7. معركة مستغانم ضد الدوائر والزمالة.
8. معركة المقطع 1836
9. معركة تلمسان الأولى في جانفي 1837.
10. معركة سكاك في جويلية 1837بالقرب من تلمسان.

---

1 - Marcel Emerit: L'Algérie à l'Epoque d'Abdelkader. (Larose.1951). pp.277-280.

2 - لمزيد من التفصيل يراجع: فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر. المرجع السابق. ص-ص. 217- 234

OуЭ ЖÆÇ О Ѿ OуЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OуЖ·е Ѿ OуЭ OуЖЎ к ·е О к

11. معركة الغزوات بضواحي فم الشلف بالمدية ضد محمد بن عبد الله البغدادي.

12. معركة عين ماضي ضد محمد التيجاني.

13. معركة موزاية قرب المدية.

14. معركة مليانة.

15. معركة ضد بيجو بضواحي مليانة.

16. معركة مضيق عقبة خدة.

17. معركة عين طاقين.

18. معركة الجعافرة جرت بضواحي معسكر.

19. معركة سيدي يوسف.

20. معركة بني عامر الثانية.

21. معركة الغزوات ال...

22. ...

23. ...

24. م... ي الجزائر.

25. معر... حريست ببلاد المغرب الأقصى.

26. معركة بني عامر الثالثة جرت بضواحي فاس.

27. معركة سلوان ببلاد المغرب ضد جيش السلطان المغربي.

بجانب المعارك الأخرى التي خاضها خلفاؤه مثل معارك خليفته على بسكرة.

وفيما يتعلق بالاستراتيجية فمن المتعارَف عليه أنها كلمة يونانية (Stretegos) وتعني فن قيادة الجيوش. وكانت تسمى في عهد الأمير بالسوقية، وهو تعبير عسكري يقصد به مجموعة الترتيبات والتدابير الواجب اتخاذها والتقيد بها بغية سوق الجيش إلى أمام العدو. والسؤال المطروح هو ما هي الترتيبات والتدابير التي اتخذها الأمير عبد القادر في معاركه؟

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا أن استراتيجية الأمير عبد القادر الحربية قامت على ثلاثة قوى هي:

- جيش نظامي جزائري خفيف
- مدن دفاعية محصنة
- قبائل موالية له

ثانيا أن استراتيجية العدو قامت على ثلاثة صفوف هي:

- جيش فرنسي نظامي ثقيل تحصن في مدن دفاعية وهجومية
- قبائل جزائرية مالت إلَى السلطة الفرنسية
- قبائل ثائرة ضده من دون أن تميل للجيش الفرنسي

ثالثا: كان الأمير يعمل بما قال به الله تعالى: "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[1]. أو بما قال في كتابه العزيز الحكيم: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا"[2]. وكان حريصا على ألاّ يتثاقل في الجهاد خوفا من غضب الله الذي خاطب المتثاقلين بقوله تبارك وتعالى: **"يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض"**[3]. وكان الأمير عبد القادر لا يخوض المعارك إلاّ في أماكن يختارها مسبقا كالمضايق وأعالي المرتفعات. ويركز على المناوشات والمضايقات والهجمات الخاطفة. ويشرك القبائل الموالية له في محاصرة مدن العدو ومضايقته بقطع المؤونة عليه.

---

1 - سورة التوبة آية 41
2 - سورة التوبة آية 38
3 - سورة النساء آية

OуЭ ЖКЕС О Ѿ OуЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OуЖ е Ѿ OуЭ OуЖЎ к е О к

وصفوة القول يتبين مما سبق أن الأمير عبد القادر اهتم بالريف وبالمدينة لبنـــاء دولـة الجزائر برغم أنه ريفي المولد والنشأة. وأنه بمثل ما انطلق من القرية بالريف انتهى به الأمـــر إلى الريف وحتى إلى المدينة الريفية المتنقلة المتمثلة في ازمالة.

والله الموفق

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

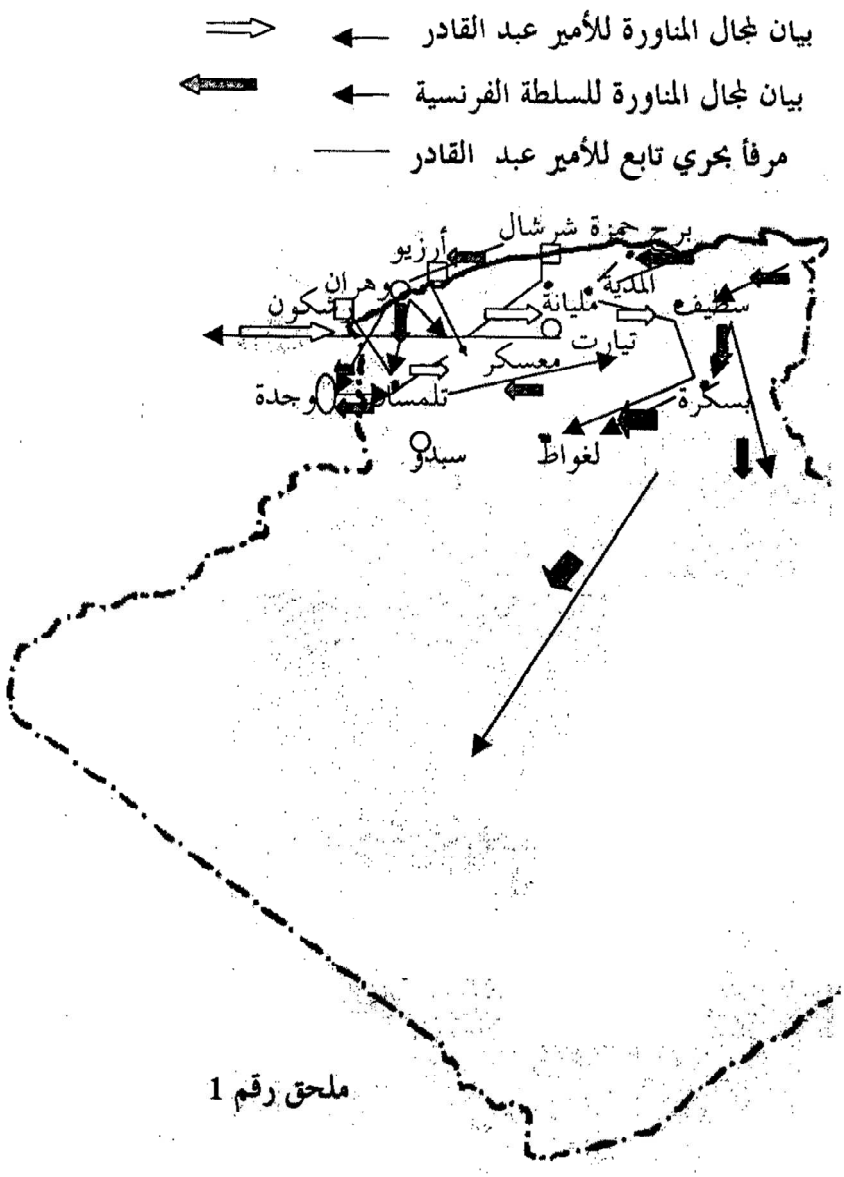
بيان لمجال المناورة للأمير عبد القادر
بيان لمجال المناورة للسلطة الفرنسية
مرفأ بحري تابع للأمير عبد القادر
برج حمزة شرشال
أرزيو
وهران
المدية
مليانة
سطيف
تيارت
معسكر
تلمسان
وجدة
بسكرة
لغواط
سبدو

ملحق رقم 1

ОуЭ ЖЖЕҪ Ọ Ѿ ОуЭ к Ă ЖӮ Ѿ Ə ŕ ОуЖ‹е Ѿ ОуЭ ОуЖӮ к е Ọ к

مقاطعات إدارية أسسها الأمير عبد القادر

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 2

نفوذ جزائري ⇨

نفوذ فرنسي ⬅

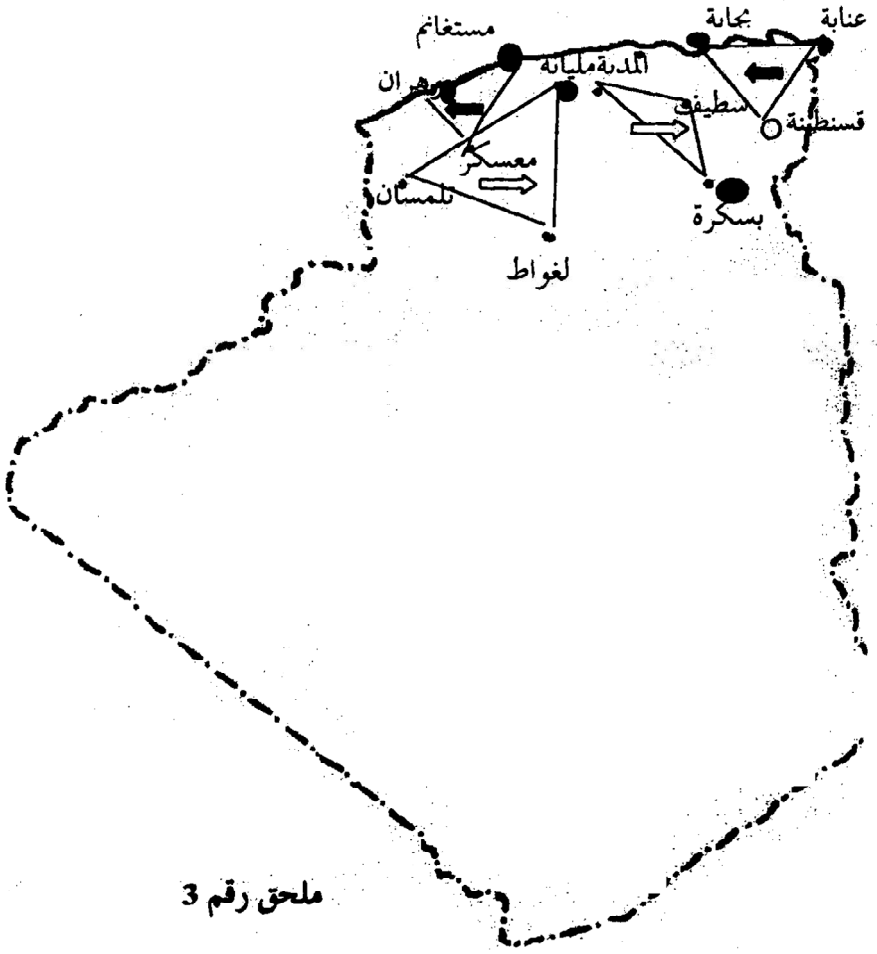

ملحق رقم 3